قال لها : يا إنانا

روايــــة

صفاء عبد المنعم



٢٠٠٨

الإهداء

إلى .. هاميس و مى

قال لها : يا إنانا



الإشراف العام : محمد الحسينى

المراسـلات :
٢١ ش الصناديلى بالجيـزة
١٧ ش العطار بالجيـزة
ت : ٣٥٧١٢٦١٨
موبايل : ٠١٠٢٣١٢٥٧٩

الموقع الإلكترونى :
www.darnefro.com
البريد الإلكترونى :
dar_nevro@hotmail.com

جمهورية مصر العربية

اسم الكتـاب : قال لها : يا إنانا
اسـم المـؤلـف : صفاء عبدالمنعم

رقـم الإيـداع : ٢٦٣١٨ / ٢٠٠٧
الترقيم الدولى : 4 - 45 - 6196 - 977
تصميم الغلاف : كامل جرافيك
جمع إلكترونى : سوفت أيماج

الطبعة الأولى
٢٠٠٨

الومضة الضئيلة الملتهبة هناك !

ألم تكن عود ثقاب ؟!

مونتالى

شاعر إيطالى

الـــــروح

ما كان من مريم التى أصبحت تختار ملابسها بعناية ودقة إلا أن تخطَّ على شفتيها أول خط تضعه بقلم الروج الأحمر ، وتمرره يمنة ، ويسرة ، ثم تضغط بالشفة العليا على السفلى وتبتسم فـــى المرآة: والله قمر .

وعندما دخلت عليها فطوم أمها، ضحكت بوسع فمهـــا ضـــحكة كبيرة بريئة وقالت: إيه رأيك يا طمطم ؟

خلعت فطوم فردة الشبشب من قدمها ونزلت على رأس مـــريم ضرباً وسباً ، وهى تبكى: كدا يا مريم تأهرينى !

دا وانا قدك ، كنت أخاف أغسل وشى مرتين فى اليوم .

ضحكت مريم ، رغم آلام الضربات الشديدة ومسحت دموعها ثم مسحت شفتيها بظهر يدها : كان زمان يا طمطم ، كان زمان !!

ثم جرت تجاه الحمام ، وفطوم من ورائها ، وعندما لحقت بها ، أمسكتها فى حضنها ، وضمت رأسها بقوة وحنان : انت عايزه تبقى زى خالتك مرام ، وتحرقى قلب أمك عليكى يا مريم !

تخلصت مريم من حضن أمها ، وتحررت من قبضتها القويـــة ، واتجهت إلى الحوض لتغسل وجهها: مالهـــا خـــالتى .. كانـــت عايشة أحسن عيشة ،

إنت بس اللى عايشه الدور . ومفكرة .. إن دى جدعنه ،

لكن أحب أقولك .. ده قصر ديل ،

إنت لو تقدرى تعملى زى خالتى ميرام .. كان زمانك بقيتى فوق .. فوق لكن فقر وعنطظه.

ثم أغلقت باب الحمام عليها ، وجلست على قاعدة الحمام تبكى .

وفطوم جالسة على الأرض أمام الباب تبكى ، وتولول ، وتندب حظها .

* * *

كان قلبه يشبه الأرض الوعرة التى ظلت لسنوات طويلة ، تحرث فيها فطوم بكل طاقاتها وقوتها وعشقها له ، كى ينبت الزرع فى يوم ما ويقول لها: أحبك .

ولكن كانت صلادة الصخور المدفونة فى أعماقة ، أقوى بكثير مما تبذله هى من جهد ، فهو يحتاج إلى قرون طويلة ، وجهد متواصل ، بلا كلل ، كى تتفتت هذه الصخور ، ويعترف لها بحقيقة مشاعره .

هى ابنة المدينة التى تربت على اتساع الأفق ومواصلة التوغل والحفر ليل نهار ، دون كلل ، فى إصرار عنيد .

وكان هو ابن الريف الذى انغرست بداخله جذور قوية من الرجولة والصلابة ، والعند لإثبات الذات .

تعبت كثيراً، وأنهكتها السنون، فقررت أن تعتزل حبه، وتوقف إصرارها، واندفاعها نحوه وجلست وحيدة فى بيتها تربى مريم دون أن تنتظره، وتنتظر الموت يأتيها ولوبسرعة بطيئة وظل هو على عناده وإصراره ..

هو هناك فى أطراف قرية بعيدة ، يعيش هانئًا بالهدوء ، وهى هنا فى قلب الصخب والضوضاء حيث المدينة الكبيرة المدمرة .

واعتادت كل صباح ..

تذهب إلى البروفسير ، تنظف له البيت وترتبه ، وتعد الطعام .

وهو يجلس فى مكانه المعتاد ، داخل مرسمه، يضرب بفرشـــاته بعض الخبطات الكثيرة والمتناثرة بيده العجوز البطيئة ، تخرج الشخبطات فى عدم تناسق ينظر إليها ويضحك: فنان .

ثم يمزقها ويضحك ساخراً: إيه رأيك إنانا ؟

تضحك فطوم ، وتدارى فمها بيدها: جميل يا بروفسير. يضحك، ويضع فرشاته على الحامل:

ـــ دى شخبطة ، مش رسم ، أنا عندى حجات كتير. تمد فطـــوم يدها وتعطيه طبق الأرز باللبن :

ـــ بكرة ربنا يعد لها .

يأكل فى سرعة ونهم، ثم يهدأ قليلاً، ويعـــود، يمســـك بيـــدها، ويجلسها أمامه، ينزع باب القفص بخفـــه، ويطلـــق الحمـــامتين الوادعتين من مكانهما، يحررهما، وينزل بيديه المرتعشتين على الجسد، ثم يذهب بعيداً .. بعيداً.

حيث الموانئ والبحار والبلاد الكثيرة التى مربها ، والتى استقر فيها ، والتى لم يرها من قبل ويناديها: إنانا إلهتى ، ومعشـــوقتى الطيبة .

ويغرق فى بحر هائج من الدموع ، ثم يعود هادئـــاً ، وديعـــاً ، ويغط فى نوم ثقيل وطويل ، تتدلى شـــفته الســـفلى ، وتتهـــدل ملامحه .

وعندما تراه فطوم هكذا ..

ذهب بعيداً .. بعيداً، تقوم واقفة ، تضع فرشاته بجانبه وترحل ، تاركة له المرسم كى ينام فى طفولة هادئة ويغــط فـــى أحـــلام لاتنتهى.

وتعود له فى الصباح ، محملة بالسجائر والطعام والضحكات .

* * *

فى المرة الأولى لعودتها ، بعد غياب دام شهورًا طويلة عندما أطلق الحمامتين لأول مرة ، وفتح لهما القفص كى يتحررا ، عضت يده فى خشونة وقسوة ، وألقت فى وجهه طبق الأرز باللبن ساخناً ، وهى تجرى من أمامه، وتصرخ: يا ابن الكلب يا سافل.

اليوم تعود ، وكأن شيئاً لم يحدث ، وكأن الحمامتين ترفان حولهما فى تحررهما الأبدى .

ومن باب المرسم تنادى: أنا جيت يا بروفسير.

يضحك ، ويناديها: ادخلى إنانا .

تدخل فدوم من الباب المفتوح ، تخلع الشبشب على الباب ، ثم تلقى بطرحتها على الأرض ، وكلما تتقدم خطوة ، تتخفف من ملابسها إلى أن تصير خفيفه، خفيفة ، مثل الروح .

وعندما تجرأت فى مرة وسألته :

ـــ ألا مرام فين يا بروفسير ؟

غضب منها غضباً شديداً ، وصب عليها لعناته ، وكاد أن يطردها لولا اعتذارها السريع له .

ـــ أنا آسفه يا بروفسير.

ثم تركها تجلس أمامه ، وأخذ وجهها الصغير بين يديه ، وظل يبكى لساعات طويلة .

ـــ إنانا . إنانا .

ومن يومها لم تعد فطوم تسأله .

وهو لم يعد يتذكر غير إنانا حبيبته الغائبة ، والمتواصل معهـــا عن بعد ، ببعد آلاف السنين .

جســد

كانت مرام فى كل مرة تقف فيها عارية كموديل أمام طلبة كلية الفنون الجميلة ، والبروفسير يشرح لهم تشريح جسم الإنســـان ، ولايدخل فى أغوار النفس البشرية .

كانوا هم يقفون مبهورين ، صامتين أمام الموديل محاولين تقليد حركة الذراع ، وحركة الفخذ ، وتجسيد الواقع الحـــى العـــارى أمامهم ، متفحصين الجسد ، بملاقيطهم الدقيقة التى تشبه ملاقيط الجراحين من خلف عيون زجاجية. وكانوا هم بمهارة فائقـــة ، وكل منهم حسب قدرته الحسية وتربيته وذوقه الفنى ، يلتقط مـــا يخصه من الجسد بعينين مفتوحتين على اتساعهما ، ويرص فى لوحته التفاصيل كل قطعة بجوار الأخرى .

كان المكان يشبه قبو البصل كما وصفه (جنترجراس فى قصته) وتخيلت وأنا أكتب القصة، أن أمامى كماً هائلاً من البصل علىَّ تقشيره، وتقطيعه كى أذرف مئات الدمعات من عينيى . دمـــوع لاتشبه دموع الحزن والأسى والانهيار ولكنها تنساب فى سهولة ويسر، وغزارة مخيفة، ولا أستطيع التحكم فى إيقافها، وتظـــل تنساب وتنساب جارية على خدىّ مثل ميرام أول مـــرة عنـــدما لمسها الطلبة بأيديهم كجسد حى لا كلوحة فنية.

قامت من مكانها فى المرسم ، وفعلت مثلمـــا فعلـــت (فرجينيـــا وولف) ذات يوم من عام ١٩٤٢ ، (بأن وضعت حجراً كبيـــراً

داخل جيب معطفها وألقت بنفسها فى النهر. وقبل ذلك تركت لزوجها رسالة تشكره على حبه وحسن معاملته لها) .
فعلت ميرام مثلها بالضبط .. " لأنى كنتُ مهوسة بهذه الفعلة"..
قامت بوضع حجر كبير داخل بلوزتها وألقت بنفسها فى النيل .
ولكنها لم تترك رسالة لأحد تشكره على حسن معاملته ولاعلى حبه.
لأنه لم يكن يوجد أحد فى تلك اللحظة ، يستحق الثناء والتقدير..!
ولهذا ألقت بنفسها بسرعة ، ودون تردد ، ودون إزعاج .
(وقبل أن تصعب علىَّ وأنا أكتبها ، فأعود وأغير رأى).
وقفتْ على حافة النيل ودقيقة وقال الماء (طش) ثم هدأ.
غاصت داخل الماء مختفية ، ومخلفة وراءها بقعة كبيرة من دوامات لاتنتهى .

هامش :
رسالة ڤرجينيا إلى زوجها .
(يا أعز الناس ، أنا واثقة أنى سأجن.مرة أخرى: وأشعر أننا لانستطيع أن نعانى مجدداً شيئاً من تلك الأوقات الفظيعة.لن أشفى هذه المرة .بدأت أسمع الأصوات ولا أستطيع التركيز.

لقد منحتنى أعظم سعادة، وكنت دائمًا الشخص الأمثل فى جميع الجوانب ..

لاأستطيع المقاومة بعد الآن. أنا أعرف أننى أفسد عليك حياتك ، ولكنى أعرف أنك ستستطيع العمل بدونى لقد زايلنى كل شىء ، إلا الثقة بطيبتك.

لا أستطيع الاستمرار فى إفساد حياتك بعد الأن).

الفــرنجة

نظرة وكنت أحسبها سلام وتمر آوام
أتارى فيها وعود وعهود وسدود وردود وآلام
كلام لايصدق ولايتصان
وعود مع اللى مالهوش أمان
وصبر على ذلة وحرمان
وكل ما أقول حرمت خلاص .. خلاص
أقول يارب زدنى كمان

صوت أم كلثوم المنبعث من راديو السيارة أعطانى إحساساً بالحاجة إلى الآخر ..
للتحدث معه، للضحك، للوعود الكاذبة، للكلام الذى لاينتهى، للضحكات العالية، للندم حتى النخاع، والتمنى بالمزيد من حركات الشد والجذب والصد والهجر وكل مفردات الرومانسية، للمعنى الإنسانى، الذى يعتقد البعض أنها مرض، ولكنها أحياناً قد تكون حالة من الفوضى والاحتياج المشاعرى للآخر.
ضغط السائق على مفتاح الصوت ، فأشعل الجو لهيباً وانتشى بالغناء والصوت والحر والزحام.
غطى بصوته الخشن على صوت أم كلثوم . وكلمات بيرم ومن حين لآخر يرفع صوته الأجش(عظمة على عظمة ياست،

والنبى كمان) وأخذ يرتجل، ويــدخل كلمــات مكــان كلمــات، ويضيف ويحذف، وخلط خلطة سريعة خاصـــة بـــه وبمزاجـــه المتقد، أفرغت الأغنية من معناها وأخذ يدخل أغانى فى أغــان، وأصوات مطربين مكان أصوات ، ويرفع ويغلظ من صــوته ، ويبصق من شباك السيارة ، ويمسح بظهر يــده ، فمــه ، ثــم يواصل متعة الغناء.وكأن الدنيا خلقت له .

يضع معانى مختلفة على مزاجة وهواه ، عمل خلطـــة ســحرية وضحك وهز رأسه منتشيًا (عظمة على عظمة ياولد..) ثم يخرج رأسه من شباك السيارة ويبصق على المارة ويردد: آه يا بشر . ثم يعود ، ويمسح فمه بظهر يده ويغنى مغتبطـــاً فـــى ســـعادة تخصه، صنعها بنفسه لنفسه.ثم بصق على الأرض من الســـيارة وردد: أيوه يا ست قولى.

* * *

كنتُ أريد أن أغنى معه .
أو أسمعه صوتى الذى ربما يكون أجمل من صوته (من وجهة نظرى) وكلمات ربما تكون أجمل من كلمات .. وأكثر ترتيباً وتنسيقاً وقرباً من النص الأصلى .
أو ربما نرتجل معاً معانى جديدة ، نصل لنشوة أخرى مختلفة.
لكنه لم يمنحنى الفرصة ، وأنا الجالسة خلفه بالضبط وأحياناً أصاب برذاذ بصاقه الذى ، يدخل من الشباك ويملأ وجهى ، وأضطر لمسحه بظهر يدى .
رن الموبايل
هاتفنى صديقى الذى ينتظرنى فى مكان ما لا أعرفه .
ولكنه وصل منذ لحظات ، وبما أنه شخص عجول ولا يستقر لمدة عشر دقائق فى مكان واحد ، وأخذ يتحدث بعنف ولوم ، ورذاذ كلماته يصلنى عبر الهاتف .
ـ أنا اتأخرت. حاضر.
ست عشرة ثمرة ناضجة فى بيت (دردكة) كان هذا هو المشروع الأول فى الرواية. ثم كتبت (فى الليل لما خلى) وعندما وجدت أن الكتابة عن (الغجر) تحتاج إلى سنوات طويلة، قررت تقطيع الشخصيات داخل أعمالى القادمة .. كل عمل يتخلله حكاية من حكايات الغجر.

وربما أصرف النظر، ولكن كتبت(حكايـات هنـد النـوبى)
الكلمات تأتى دفعة واحدة وبعشوائية ودون ترتيب، مـا علاقـة
السابق باللاحق بالسائق بالروايات، هكذا االكتابة ربما تأتى فـى
غير موضعها . مثلما يفعل السائق مع الكلمات والأغانى!
لماذا تذكرت (الغجر) مـع تصـرفات السـائق ..(الهجميـة ،
البدائية ؟)
رن صديقى ثانية ..
والسائق مازال يغنى ويبصق ورذاذ بصاقة يتطاير ويأتى مـن
الشباك على وجهى ، وأمسحه بظهر يدى.
عندما ضحكت مع صديقى صـاحب(لصـوص متقاعـدون)
وشكرته لأنه وصف صاحب البيت الذى يعيش فيه(أبو جمال)
وقلت له أنه يشبه صاحب البيت عندى(أبو رجـب) ضـحك
بعنجهية وقال : أنا سبقتك! وع العموم كلهم شبه بعض صرخت
فيه : ولكن التفاصيل تختلف، والعشوائية تنتج أفكاراً عشـوائية
وأشخاصاً متشابهين .
ضحك: دى أفكارك أنتِ .
ضحكت: أقصد المجتمع العشوائى يعيش فى حالة من الفوضـى
المتناهية والمتشابهة.

هكذا وضحت الواقع ، وأنا أتحدث بحماس وتوتر ، وبصـــوت مرتفع.
ضحك بسخرية لاذعة ، وهدوء الواثق ، وبثقل قائل :نحـــن يـــا عزيزتى الضحايا .
بعد أن ضحكت ، وقلبت أكثر من عشرين عاماً مضـــت مـــن الذكرى والخيبات ، مع صديقى الذى ينتظرنى وقلت له: قـــرأت كتابك (مصر رايحة على فين)
وكتبت تعليقات كثيرة ثم مزقتها لأنها كانـــت رومانســـية وبـــلا موضوعية .
نظر إلىَّ نظرة غضب ، وضحك: لماذا لم أرها ؟
تصنعت الغباء ، واعتذرت ، وسألته: ولكن أين صوت المـــرأة فى الكتاب ؟
لماذا غاب رأيها ، ضمن الآراء الكثيرة ؟
انتظر قليلاً ، وأخذ يفكر ، ثم اعتذر: آسف لـــم أتعمـــد غيـــاب صوتها ، ولكن ربما كان انشغالى بالموضع هو الذى حدد نـــوع الأشخاص.
تمنيت من داخلى أن يكتب كتاباً آخر ، ويكون فيه صوت المرأة واضحاً ، ويكون صوتى ضمن الأصوات !

مددت يدى ، وأخذت كوب الشاى وشربته دفعة واحدة ، دون أن أحدثه عن باقى هواجسى وانصرفت ، وأنا أعده بلقاء آخر .
فى ذهنى صورة مؤلمة عن الثابت والمتحـول فـى المجتمـع المصرى الآن ، ليس كتاب (أدونيس) ولكن ديمومة الحياة .
آمنت بمطلقات ، ثم ألقيت بها من النافذة .
وقلت: طالما هناك أناس يفكرون ، سوف أفكر معهم .
ونظرت من شباك الأتوبيس و رأيت الزحام كثيفاً ، والعربـات متراصة جوار بعضها (خنقة)
عدت إلى حيث سكونى (أفكر).
أدار السائق مؤشر الراديو ، فجاءت أغنية جديدة
ألقت بى فى جب جديد ومختلف
مددت ساقىّ ، وأخذت أستعيد كلمـات (تشـاؤم العقـل تفـاؤل الإرادة) صور سوداء ، وكلام مضحك .النافذة التى أنظر مـن خلالها تحتاج إلى بصرحاد وبصيرة ثاقبة ، ليكن ما يكون .
ونبدأ من حيث بدأ كثيرون ونفعل ما فعله الشرفاء ، هكذا قلـت لصديقى عندما حدثته.
رن الموبايل وجاء صوته قلقاً حائراً :
ـــ انتظرت كثيراً.
ضحكت وأغلقت الخط.

يجلس إلى جوارى شاب ينتهز فرصـــة أنـــى مشـــغولة بغلـــق الموبايل: فجنح ذراعه كى يلامس طرف ثدى بكوعه ابتعـــدت عنه فى أدب . وبخشوع انحنى بعيداً واعتذر. أفسحت له مكانـــاً أكبر وابتعدت عنه .

اتكأت بمرفقىَّ على حقيبتى ، كدت أســقط الكلمــات تتــوالى ، والأتوبيس يهتز ، وصديقى القلق مازال يرن علـــىَّ الموبايـــل والسائق مازال يغنى.

ــ أيوا .. أنا فى الأتوبيس ، عند الجامعة .

هانت ، خمس أو ست دقائق وأكون عندك اتـــأخرت عليـــك ، معلش ، سلام .

الآخر جنح ذراعه أكثر .

يمر الآن شاب من جوار ذراعى ، ويحتك بى قاصداً

هذه المرة عن عمد .

وأنا مجنحة ومبتعدة ، ومائلة إلى الأمـــام أغلقـــت الموبايـــل ، وانكمشت أكثر فى أصغر مساحة يمكن أن يحتلها جسدى.

وأخذت أستعيد المواقف والمشاهد على مـــدار أيـــامى الطويلـــة وعشرة العمر مع أصدقائى .

الآخر مازال منهمكاً فى احتكاكه بى ، وكأنى صيدة ..

الاحتكاك !

لذة وقتية وزائلة .
ولكنه شخص قمىء ، لايلتفت لنظراتى الغاضبة ،مر بصـــعوبة وقصد ، وجلس ورائى.
هل هذا هو التفاؤل يا ميشيل؟
لا أعتقد .
أضحك فى سرى .
وأرى الرقم يظهر أمامى.
ــ ألوه
والله العظيم أنا فى الطريق .
الشارع زحمه ، اعمل إيه ؟
سلام.
تركت الذى جوارى يحتل مساحة أكبر مـــن الكرســـى ، فـــوق مساحته والمخصصة له .هواجسى كثيرة ومؤلمة ولكنها النظرة!
النظرة التى تثقب جسدى الآن.وتجعلنى عارية أمام الآخـــرين ، وقبل أن يحتلوا بركة روحى ، ويبقبقوا فيها ،
أخذت أدندن مع السائق ، وانصرفت قليلاً.
هناك مشاعر صغيرة وإنسانية أملأ بها روحى وأضـــحك مـــع صديقى وأسميها (كروت شحن)عندما تضيق بى الحياة أذهـــب

إلى أصدقائى الطيبين ، أشحن مشاعرى ،وأعود أكثر قدرة وقوة على الاستمرار .

وأمثال الذى جوارى، والذى مر منذ لحظات وجلـــس خلفـــى لا أقف عندهم أكثر من لحظة، فهم يمرون مـــرور الكـــرام علــى روحى ولايؤثرون فى حياتى، سوى تأثير الفرنجة على العرب كما كنا نقرأ فى كتب التاريخ .

السائق عاد يدندن بصوت أعلى .

ويهرش فى رأسه وهو يمرق من بين العربات مثل الزئبق .

بعيداً عن الأشكال الثقافية ،والتصنيفات المتعارف عليها ،

أخذت أشحن مشاعرى بكروت حب وتعاطف مجانى .

حقيقى أنا صاحبة السبق دائماً ، ولكن الحالة الآن مختلفة تساوى ألف مغامرة ، فهى التى تعطى الاستمرارية وسط هذا القبح.

والأقرباء لاضرر منهم ولاضرار.

مثل (أبى — أخوتى — بناتى) فهؤلاء جميعاً ، أشـــحن مـــنهم بكروت شحن مجانية وطويلة المدى.

أضحك صامته.

الجالس إلى جوارى الآن سعيد بحيرتى وانشغالى عنه ، فأصبح يحتل نصف مقعدى تقريباً.

تركته لغبائه.

وانشغلت بأصدقائى وأحبائى الذين بعثوا داخلى، الأصدقاء كروت شحن إضافية ، ولكنها سحرية ، والقلة الذين ربيتهم بداخلى وعلى انفراد .. أحبهم (هل يحبوننى) ؟

ليس هذا هو الموضوع .

لنعد إلى النظرة ، والأغنية والكتاب ، وصديقى الذى ينتظر فى مكان ما لا أعرفه.

رن الموبايل للمرة الألف.

ــ والله يا حبيبى جايه .

ــ وأنا هاكدب عليك ليه ؟

ــ ......

ــ غاوية دلع. ربنا يسامحك .

بعد أن أغلقت الخط ، اشتعلت داخلى أغنية كاظم الساهر (دلع عينى دلع) فأخذت أترنم بها .وأنا أتخيل الأتوبيس والأطفال والبمبرز وهم يرقصون ، فاشتعل الغناء داخلى.

أشعر أنى محاصرة بالأكتاف والأرجل من جميع الجهات.وهذا الضغط يشكل بالنسبة لى حالة من الضيق مصحوبة بالقرف .. ولكننى أغنى.

فمهما أحاول إزاحة المجنح بكتفه عن كتفى، فأجدنى أنزوى، ويزداد هو احتلالاً لمكانى . فأنزوى أكثر وأنكمش فى ربع

الكرسى الباقى . هو بحسه الذكورى يعرف أنه(يزنقنى) بدأت أتقوقع على نفسى وانكمش داخل جسدى، فأصير ضئيلة(حقيرة) منكمشة داخل جسدى الذى يقل، يقـل بالنسـبة لحجمـه الـذى يتضخم، ويزداد اتساعاً . لقد أزاحنى بشكل مقرف . وما العمل؟ جاء آخر ووقف عن يمينى فأصبحت محاصرة أكثر ومنكمشـة أكثر . محاصرة بين رجلين الأول جالس والثانى واقف وكـان أكثر ضخامة ولديه بسطة فى الجسم، أتاحت له فرصة أن يحتل جزءاً أكبر من بين الواقفين وكلما ضغط على ذراعى ابتعـدت وازددت التصاقاً بالجالس ، فينتهز الفرصة ويفرد ذراعه ويمدها ورائى (ليحتضننى) .

أف

أصبحت فى موقف لا أحسد عليه .

وكأنى ألعب لعبة الكلب الحيران الذى تقذف له الكرة .

فيلتقطها الآخر .

أبتعد ، وأميل ناحية الأمام ، ظهرى يؤلمنى ، أبتعـد ، يمنـة ، يسرة ، لافائدة .

استغل الواقف ، الموقف ، والصمت ، والحيرة ، ومال بجسـده فازداد انغراسًا بـــ .. فى لحمى المنكمش .

صرت رهينة الشد والجذب والانكماش والتضخم، اختنقت .

تذكرت رواية صديقى (لصوص متقاعدون) عندما كان يستيقظ صاحب البيت (أبو جمال) مبكرًا ، وهو يقوم برش الشـــارع واحتلال كل يوم مكانة أكبر . هكذا يفعل تمامًا صاحب منزلى ، يستيقظ مبكرًا بعد صلاة الفجر ، يخرج الخرطوم ويقوم بـــرش مساحة بيته والبيت المجاور عن اليمين، وعن الشـــمال والـــذى أمامه .

أى يأخذ مساحة بيتين من الجنب ، وثلاثة مـــن الأمـــام تقريبـــاً نصف الشارع.

فى يوم نهرته .

وقلت له: حرام عليك ، الميه دى مش بفلوس.

ضحك وقال: إيه ياست. بنرش الشارع عشان الطراوة .

أعتقد أنه لايملك غير هذه الطاقة (للـــرش) جســـدى يُهـــرس ويفعص ، والضغط يزداد ، وقفت وزعقت .

ــ الرحمة حلوة يا أخى . وسع شوية .

زغرلى بعينيه . فغصت وانكمشت أكثر . هذا مشهد تخيلى أنا لم أقف ولم أزعق ، تخيلت أنى أريد أن أفعل ذلك.

أنقذنى الموبايل برنينه.

ــ أف .. أيوه .. والله جايه .. أنا فى الطريق.

انتظرت كتير .. معلش اطلب شاى ، واشربه علـــى مـــاجى ، مسافة السكة .

نفخت ، نفخه قوية ، وبغيظ ملأت رئتيىّ بـــالهواء المضـــغوط فوقى .

رن الموبايل ثانية بسرعة

فتحت الحظ فى عصبيه.

ـــ والله العظيم جايه ، تلاته بالله العظيم جايه ورحمة أمى جايه.

هبدت الموبايل وأغلقته.

فخاف الذى جوارى وابتعد ، ولم ذراعـــه واعتـــذر ، وابتعـــد الواقف، وأدار ظهره وفتح الموبايل وأخذ يقرأ ويلعب .

الضغط ، الهرس ، والانكماش.

ضحكت .

واحتللت مكانى الطبيعى منتشية .

هل يدرك الرجل مدى شعور المرأة بالعجز ، لمجرد أنها تخشى أن تصير هى المجرمة وأنه هو البرىء .

ضحكت بسخرية أكثر ، ومرارة أشد: ملعون أبوهم.

وأشعلت الغناء داخلى ، ولكن بصوت أعلى (دلع عينى دلع).

لنعود لما بدأنا به .

قرأت كتاب صديقى القلق والذى ينتظرنى الآن.

كتاب جميل ، ولكنها كلها وجهات نظر ذكورية غير متفائلة .
نحن على أعتاب إشكالية ضخمة اسمها (المصير) ليس الفيلم ، ولكن مصير يشبه مصير ابن رشد (الاحتراق)عاد المجنح إلى جوارى يفرد ذراعه ثانية.
بعد أن صمت .. دخلت داخلى كى أفكر .
إنه ينتهز فرصة صمتى ويتمادى فى فعله القذر ، معتقـداً أنـــى أرغب فى ذلك.
ولكنه الانشغال . الصمت كارثة ، يجب تحمل عواقبها .
لابد أن أفعل شيئاً ؟
هذا لايحتمل ، والصمت يسمح بمرور مشاعر مقرفة وحركـــات غريبة ، وإشارات مبهمة.
فرملة قوية ، وقف السائق فجأة .
بعض الأجساد اعتدلت ، والبعض تزحزح عن موضعه انتهزت الفرصة ، واحتللت موقعى السابق ، جلست على الكرسى بتمكن أكثر.
اعتذر الجالس عن يمينى بأسلوب مهذب وابتعد :
ــ آسف .
هززت رأسى بالقبول دون ابتسامة .

فتح الجريدة التى معه وأخذ يقرأ فى صمت . أعرف أنـــه بعـــد لحظات سوف يعود ويجنح ذراعه ويدعى الاندماج فى القـــراءة (نظام استهبال) أضحك.

أعرف خبث الآخرين ، مناضلة قديمة مثلى بحجم تمرد العالم ، لا تستطيع الجلوس آمنه فى مواصلة عامـــة ؟ كيـــف تطالـــب بالتغيير؟ (الثورة) ليست عند كوبرى قصر النيل يا مرمر.

هكذا هاتفت لنفسى.

فى حركة كفاية ، كانوا يقفون أمام مكتبة مدبولى فـــى ميـــدان طلعت حرب ويغنون (مصر يا امه يا بهية) ضحكت وتركتهم يغنون ، وسألت نفسى هذا السؤال ، هل مازالت مصـــر هـــى بهية؟

(تصور أهبل وعبيط)!

ولكن بدأ صوت الشيخ إمام يتضخم داخلى .. وأنا أتـــرنم معـــه على نغمات الأغنية .. مصر يا امه يا بهية .. يـــا ام طرحـــة وجلابية .. الزمن شاب وانت شابة هو رايح وانت جاية .

نشيد الفـــرح

كان يصر دائماً على أن يخرج بيديه الحمامتين النـــائمتين فـــى القفص ، فتقفان ، نافرتين ، على حافة القفص يتأملهما بعينيـــه وهما تحاولان الرفرفة فى الفضاء الواسع ، استعداداً للانطلاق. ينزل بأنامله الخبيرة على الفم الوردى الهادئ، ثم يسير رويـــداً، رويداً بأطراف أصابعه على الجناحين وبقية الجسد تهدآن، بعـــد نفور وتستسلمان لدعكات أطرافه فى هدوء من أعلى إلى أسفل، ثم ينزل على باقى الجسد لاثماً بشفتيه كل قطعة فيه، كأنه عابد فى محراب ربة الآلهة وعندما يصل إلى العشب المنثور حـــول الكوخ الصغير، يحاول جاهداً، وبهدوء الناسك أن يفتح له الباب فى وداعة واطمئنان فيلج داخلاً وهو يتمتم بأدعيـــة وصـــلوات وحبور ونشوة ، ولهيب أنفاسه المتلاحقة يلفح وجهها الوردى. فتغمض عينيها فى استسلام وأمن ودعة.

ـــ إنانا .

انت يا جنة المشتاق

أنا اللحوح .. دائماً

كم ظللت ببابك صامتاً

والآن تتدفق الأغانى

والأمنيات والأدعية

أنا عبدك الصامت ..

المبتهل

الهادئ

المسكين

فلا تطرديني من جنتك ، ولاتحرميني منها .

إنانا .

ويظل ساعات وساعات ، إنه المحب ، الغريق العاشق وتظل هي ساكنة ، هادئة ، تهدهد على ظهره بيديها الدافئتين العاشقتين، فتستمد منه روح الاستمرار والقوة التي تغذيها، وينام .

تقوم هي من فورها ، وبعد ذلك تخرج قوة جبارة لمواجهة الحياة والمستمدة من روحه.

وهكذا كان العجوز دوماً يصر ، ويلح ، ويطلب من ميرام قبل أن يأتي الطلبة إلى مرسمه ، أن يرسم لها صورة أبدية أخيرة ، فريدة لن تتكرر مهما حاول .

فتندهش لأن أنامله كانت تحييها ، وهو يضرب بفرشاته وألوانه على اللوحة . ومن حين إلى آخر يلتفت نحوها والسيجارة في فمه يمص منها امتصاصاً متواصلاً .

ـــ بعدين بقى مزمزيل .

اثبتى على وضعك.
وتبتسم وتعتدل فى جلستها ببراءة وود .
ــ حاضر يا بروفسير.
كان دائماً يناديها: إنانا .
ويضع أسطوانة (سيمفونية القدر) لبيتهوفن ويشعل جهاز حكيــه معها إلى أن يأتى الأولاد والبنات وعندما تحاول ارتداء ملابسها يصرخ فيها زاعقاً:
ــ لا .. لا إنانا
لايليق بإلهة مثلك أن ترتدى شيئًا ،كونى هكــذا شــفافة أبديــة، الشفافية هى روحك التى تشع من جسدك .
فتضحك ، وهى تمد يدها تأخذ سيجارة من علبته ، وتشعلها.
ــ لكن يا بروفسير أنا بردانه .
ينهض ، ويحتويها بجسده الدافئ العجوز ، ويأخذها فى حضنه ، ويمسد شعرها بيديه .
ــ لا .. لا إنانا .لايليق بإلهة مثلك أن تبرد.
ويجلســـها علـــى حجـــره ، ويظـــل يحكـــى لهـــا عن(جلجامش)و(ألكيدو) وهو الذى رأى كل شىء وهو الذى أدرك جميع الأشياء ، وأفاد من تجاربه ، وهو الحكيم العـــارف بكل شىء .

المثَّال العجوز الذى سوف ينحت فى معبده الأبدى ؟
والذى سوف تلمع شرفاته كالنحاس .لقد أبصر الســـر وعـــرف الخطايا المكتوبة . وسوف يحكى لها إنه (إدد) العظـــيم إلـــه العاصفة والرعد والمطر ، وسوف يحميها من ..
فتضع ميرام رأسها على صدره ويناديها : أى أنا .
اقتربى منى ، ولاتخافى فأنا (إدد) العظيم.
وتذهب فى سبات عميق ، فيحتويها بين أحضانه ، ولايقلقها.
وتظل هى هكذا ساعات وساعات نائمة . وهو صامت يحرسها ، ويحكى لها حكاياه ، ويضرب بفرشاته ، وألوانه ، راسمًا ملامح، وحدودًا ، وبلادًا .
ـــ يا سيدة الآلهة .
افتحى بابك العظيم وأدخلى هذا الفقير المتيم إلى جنتك كى يطعم من مائدتك العامرة.
إنه هو .. العبد اللحوح الذى وقف أياماً وأياماً، إنه ينتظر..
طاقة نور.. من طيقانك الكثيرة .
وكان كلما فُتح باب وعدا منه ، يمر على العجوز ألـــف يـــوم ، وهو مازال يلون بألوانه تلك اللوحات الكثيرة التى رسمها لفتاته فى أوضاع مختلفة ومتعددة .

كلما انتشى وغنى وصفر ورفع صوته مع صوت (البيك أب) عالياً وأدى (نشيد الفرح) كلما سخرت هى منه وتململ مـن الأوضاع الغريبة (واقفة، جالسة، نائمة) .. وتظـل لسـاعات طويلة، وربما لأيام عديدة تهمس له :أنا عارفة إيه الى بترسمه ؟ وإيه الخبط والرزع والشخبطة دى ؟

والصريخ اللى دايرده ، أنا زهقت .

يضحك ، ويظل يضحك ، ويضحك ،وهو يضـرب بفرشـاته ، ويمسح ذقنه إثر اللعاب المتساقط من شفتيه .

ـــ دى سيمفونية القدر لبيتهوفن ، أعظم من أنجبته البشرية.وده آخر جزء (نشيد الفرح) .

تمصمص شفتيها وتتعجب.

ـــ وده يشبه الشيخ سلامة حجازى، ولاّ الشيخ سيد درويش؟

يقهقهه عالياً ، ويستدير نحوها بكامل وجهه :

ـــ سلامة مين إنانا ؟ ده بيتهوفن . قولى ورايا بيتهوفن.. فاهمة؟

تلم فخذيها ، وتضع يدها على بطنها :

ـــ فاهمة يا بروفسير.. فاهمة .

ثم تنزل بقدميها الحافيتين على الأرض الرطبة،فتشـعر ببـرد قارس ينساب داخلها ، تقترب منه ، تميل على كتفه وهى تتأمل اللوحات والأوضاع وتهمس فى أذنه :

ـــ ألا قوللى يا بروفسير ، اللوحة دى هتحطها فين ؟

ـــ على البحر جنب تمثال (فينوس) إنانا .

ـــ لأ .. فى المتحف جنب الآلهات ..

هنا فى هذا المكان تنعم ميرام بالسكينة والاستقرار ، وتشــعر أن جسدها هذا ما هو إلا جسد إلهة يعشقها مجنون ويخلــدها فــى لوحاته وإبدعاته المتواصلة .

ويحث تلاميذه على الولوج إلى عالم الآلهة ، تاركين عالم البشر المادى والمحسوس إلى عالم النار والقوة، وأخيــرًا اســتراحت واستقرت ونقلت أشياءها المتواضعة ، لتعيش عيشــه أبديــه ، عاشقة فى محرابه الجميل.

شعرت بكينونتها إنسانيتها ومرتبيتها المرتفعة فى صف الآلهات الجميلات .

وقد سمى كل لوحة من لوحاته ـــ والتى تسميها ميرام بالغموض والدهشة ـــ باسم آلهة مــن إلهــات الجمــال العديــدات فــى الأساطير،ولكن هى عنده إنانا وعندما يدللها فى حالــة العشــق يناديها(أى أنا) الجميلة تمد يدها تجاه اللوحه وتضــحك : ودى يابروفسير كانت شكلى كدا ؟

يمسك يدها ويقبلها: إنانا . دى صورة مش تمثال.

تبتعد عنه ، وتتجه نحو الشباك الموصد ، تفتحه ، تتأمل النيــل وهدوءه .
ـــ أنا عارفة أهو كله رسم ، تمثال ، صورة مش مهم عارف يا بروفسير أنا نفسى فى إيه ؟
ـــ إيه إنانا ؟
ـــ نفسى أسافر بعيد زى بحَّار عجوز وأفضل ألف وألف بــلاد العالم ولا اهمد ، ولما أموت أرمى نفسى فى البحر عشان أدوب فى المياه ولا ارجعش.
يقترب منها فى هدوء ، يغلق النافذة ، ويأخذها بين أحضـــانه ، ويربت على شعرها.
ـــ أنت شقية قوى إنانا وها تخدى برد إحنا فى ديسمبر ماما.
تستدير وتعود إلى جلستها السابقة فى مكانها .
ـــ والله يا بروفسير. أنا ما حاسة بأى برد خالص .
لكن حاسة بنار ، نار ، لوخرجت ممكن تحرق ، تدمر أنا بحب النيل والليل ، ياسلام لو تسمع الشيخ سيد وهو بيغنى ويضـــرب على عوده ويقول: أنا عشقت فشر نيتهوفن بتاعك ده !
يضع العجوز بالتة ألوانه على منضدة صغيرة ويمســك بيديــه أسطوانة، يضعها على(البيك أب) يدور صوت الشــيخ ســيد ناشرًا حولهما صوته، وآهاته، ونغماته، وضرباته القوية : أنـــا

عشقت ثم يقف أمامها يمسد بيديه شعرها الــذى تنـــاثر علـــى وجهها، ويقبلها قبلة طويلة.

ــ أنتِ شقى كتير إنانا ، وأنا راجل خلاص .

تمد يديها على خديه ، وتربت بود وحنان ، ثم تأخذه بين نهديها العاريين .

ــ إنت اللى جميل قوى ، وطيب ، بس يـــا خســـارة عجـــوز.

يغضب ويثور ويلقى بلوحاته على الأرض ، ثم يقوم بتمزيقهـــا ويظل يرقص ويرقص كأنه يطير فى الهواء .

ــ أنا مش عجوز إنانا.

أنا بحبك قوى.

امـــرأة تثرثر كثيرًا

كانت تشعر بسكينة غريبة عندما تذهب إليه وعندما تعود تشعر بغصة فى الحلق لاتفارقها ، وسلام داخلى لاتعرف مصـــدره ، حتى تستيقظ صباحاً ، وتعود إليه ثانية.

تدخل البيت تجد أمها كتلة لحم جالسة على فرشـــتها والأطفـــال الصغار حولها نائمين.

تدخل فطوم بخطوات هادئة ، تحمل الأطفال وتضـــعهم علـــى السرير وهى تردد: سالخير يا امه .

تعدل الأم قدميها اللتين تورمتا من نوم الأطفال .

ــ آه يا رجليا . رجليا عجزو من نوم عيالك عليهم .

تجلس فطوم على الأرض ، وتدلك قدميّ أمها وهى تضحك:

هما لهم مين غيرك يا قمر ، ربنا يخليكى لنا يا امه.

وتدلك القدمين العجوزين بحنان وحب مثلما يفعل العجوز معها، وهو يدلك لها الحمامتين النافرتين ، حتـــى تهـــدأ وترضـــى ، وتجلس أمامه عارية كى يرسمها كما يحلـــو لـــه . تفـــرد الأم قدميها، وتضمهما فى حركة رياضية ، فـــرد ، ثنـــى ، وهـــى تضحك : والله يابنتى إيدك بلسم ، هو زيت إيه اللى معاك ده ؟

تدعك فطوم يديها جيداً وتضحك.

ــ زيت كافور.

ــ الله ينور عليكى يا بنتى ، أهو كدا أقدر أقوم من مكانى ،

العيا مُر .

تضحك فطوم وتغلق الزجاجة جيداً ، وتضعها فوق الثلاجة.

ـــ إيه رأيك يا امه لو أسخن لك شوية ميه ترشى بيهم جسمك .

تتمطع الأم على فرشتها وتضحك بهدوء المستسلم ، وهى تفـــرد قدميها وتمددهما وتكمل تدليك ركبتيها :

ـــ يا حبيبتى إنتِ طول النهار شقيانة وتعبانة وكفاية عليكى هـــم العيال ، والغسالة اللى قايمة تدوريها فى نصاص الليالى.

تخرج فطوم غياراً نظيفاً من الدولاب ، وتدخل الحمام تعلقه ، ثم تخرج تمسك أمها من يدها ، لتساعدها على الوقوف .

ـــ قومى يا ست الحبايب قومى ، أحميكى قوام ، قوام زى بتوع السيما ، تلاقى نفسك فلة.

تقوم الأم فاردة جسدها العجوز الضخم وهى تتوكأ علـــى ذراع ابنتها.

ـــ والله يا حبيبتى تعباكى معايا من يوم ما الدوالى الزفت دى ما جتلى وأنا بركت فى الأرض خالص.

تسير بخطواتها ، وتهز جسدها تنفض عنه الكسل .

تدخل الأم أولاً . وفطوم وراءها ، تفتح الدش وهى تضحك.

ـــ السخان سخن المياه فى ثوانى.

ترفع فطوم جلباب أمها وتخلعه لها ، مثل طفل صغير.

ــ ربنا يخلى البروفسير إدانى السخان القديم بتاعه لمــا دخــل الغاز .

تدخل الأم مثل طفل صغير فرحة تحت الدش بكامــل جســدها الضخم تفرغ فطوم زجاجة شامبو علــى رأســها وتــدلك لهــا شعرها .

ــ يا ه وكمان شامبو . دانتى مدلعانى على الآخر .

إلهى وانت جاهى يسترك يا فطوم ما يفضحك أبداً.

المياه نازلة على جسمى تقولى بلسم.

تدعك الأم جسدها فى استسلام لدفء الماء .

ــ يا مياه يا سايحة خدى الوجع وانتى رايحة.

* * *

لأول مرة ، ومنذ سنوات طويلة ، تشعر ميرام أنهـا خاويـة ، وأنها لاتقيم وزناً لكلام فطوم ، التى اتهمتها بأنها أصبحت تشبه عرائس باربى التى تملأبها قصرها المنيف ، والـذى رفضـت فطوم أن تحضر لزيارتها فيه ولو لمرة واحدة ، منذ أن تركـت مصر الجديدة ، وذهبت إلى أرض الجولف . وقالت لهـا عبـر الهاتف : كل سنة وأنتِ طيبه يا بنت خالتى . ورفضت أن تقول لها يا أبله ميرام كما كانت تناديها . فطوم أخذت موقف الرافض والناقد لأفعال ميرام الأخيـرة ، حيـث صـرخت فـى وجـه البروفسير وقالت له : أنتَ السبب فى تغير ميرام بنت خالتى . من يوم ما سيبتها وهى بقت حاجه تانية خالص. ضحك وضرب بفرشاته فى اللون ثم أخذ يملأ اللوحة بلون الـدم القـاتم وهـو يضحك : يا إنانا ميرام هى كدا طول عمرها . إنتِ اللى مـش واخده بالك إنانا فاكرة يوم ما جبتك عندى وضحكت وقالـت : شوف لها شغله عندك يا بروف . انا كنت عارف قصدها إيه . أنت كمان كنت عارفه إنانا . كان معناه واضح وصـريح. أنـا جبت لك واحدة موديل غيرى. أنا فهمت كدا إنانا .

غضبت فطوم وجلست على الأرض تبكى ، ثم استدارت بكامل وجهها.

ــ يعنى أنا كنت اللعبة الجديدة ؟

ــ أنت كنت جميل إنانا

اللى فات مات .. بكره سنة جديدة. حاول تنسى .

* * *

أغلقت ميرام صوت الكاسيت ، ودخلت حجرتها ثم أمسكت ورقة وقلم ، وأخذت تضع بعض الخطوط والظلال ، ثم كتبت أســفل الورقة(سنة من عمر إنانا تمر ... دون أن ترى البروفسير) ثم مزقت الورقة وقامت من فورها ، مدت يدها ووضعت إسطوانة القدر لبيتهوفن على البيك أب ، وفتحت النافذة ، وأخذت تطــل على الخارج بعينين مليئتين بالدموع .

سنة كاملة مرت عليها وهى هكذا تسمع الأســطوانة والــدموع تتساقط ، والجو مشبع بالمطر ، ورذاذ خفيف بدأ يتساقط علــى مهل ، خلعت الحذاء ، والملابس وظلت ترقص ليلة كاملة وهى عارية القدميين ، ونشيد الفرح أوشك على الانتهاء .

جثة العُشب

لم تكن تدرك تماماً ، مدى اندهاشها ، وبهجتها ، وشغها بطفولية لرؤية الأشياء عندما شاهدت الصحراء الممتدة فى وقار ووحشة أمامها.

ومن آن لآخر تخرج رأسها من شباك السيارة الشروكى وتشير بإصبعها: شوف بابا ، الصحرا واسعة إزاى .. يهز رأسه تلقائياً دون أن ينظر: آه .. آه .. طيب .

ثم تواصل هى نظراتها وفرحها بالامتداد والرمل الذى يبرق مثل التبر .

والسائق الذى لايلتفت يميناً أو شمالاً ، يسوق بهدوء منسجماً مع نغمات الأغنية (يا مسافر وحدك وفايتنى .. ليه تبعد عنى)..

كان الصوت هذه المرة هو صوت نجاة بحنانه ودفئه الهـــادئ ، تغنى بشجن زائد.

زاد من حلاوة الكلمات واللحن.

انتبهت فجأة للصوت ، وأخذت تقارن بين صوت عبد الوهـــاب ونجاة فى الأداء والإمتاع.

نظر السائق من خلال المرآة ، وجد الرجل يغط فى نوم عميق .

وهى مازالت عيناها على الخارج، واللحن دافئاً . رفع صـــوت المسجل قليلا ، وزاد من درجة التكييف ، فانبعثت رطوبة حلوة، جعلتها تسترخى قليلاً ، ومددت ساقيها .

سمعها تردد بصوت خفيض: الله الدنيا حلوة بشكل .ليه حرمتنى منها كل السنين دى ؟

رن الموبايل ، فتحت الخط ، وأخذت تتحدث ، وتهز رأســها ، نفياً وإيجاباً ، ثم انفعلت وأغلقت الخط ، وأغمضت عينيها وهى تستمتع بالصوت الهادئ لنجاة كانت لأول مرة تسمع هذا اللحن بصوت نجاة تحديداً، فمصمصت شفتيها مندهشة : الله صــوتها جميل .

وامتلأت عيناها بالدموع فجأة ، ثم نزلت على خديها مثــل دش ساخن. مازال السائق يراقبها صامتاً من خلال المرآة ، والطريق أمامه طويل لاينتهى.

والأب يغط فى نوم عميق ، مد يده إلى علبة المناديل ، وأخرج منديلاً وأعطاه لها : ولايهمك يا هانم . بكره يرجـــع لوحـــده.

احمرت عيناها ، وأخذت المنديل ، ومسحت الدموع.

ـــ الأولاد وحشونى قوى .. وهو عنيد.

وجد السائق منفذاً للحديث معها .فكم نظر إليها طويلاً وهو يراها تكبر وتنمو أمام عينيه .

ـــ يا ست من باعك بيعه .

ـــ مش بالبساطة دى .

كانت الأشياء فى الخارج تتوارى وتجرى أمام عينيها فى سرعة وعندما اقتربوا من مكان به بعض الأشجار المزروعة والمعتنى بها ، ركن السائق العربة وقال لها: إيه رأيك يا هانم فى شـــوية شاى معتبرين .

وافقت بهزة من رأسها ، ثم أيقظت أباها .

ـــ بابا .. بابا. تعال اشرب شاى .

نزلوا جميعاً من العربة ، وجلسوا على كراسى مـــن الجريـــد ، وتقدم منهم شاب . فطلبوا جميعاً شاياً . هـــز رأســـه ، ومســـح المنضدة بفوطة فى يده . أخذت هى تطرقع أصـــابعها ، وهـــى تنظر فى دهشه إلى المكان والهـــدوء والصـــمت والصـــحراء الشاسعة حولهم تنهدت : يا بخت اللى عايشـــين هنـــا! ضـــحك السائق بصوت مرتفع: مش قوى كدا .

الصحرا هى الصحرا. المهم الناس.

لم تعجب الإجابة ميرام وتنهدت :الناس خدنا مـــنهم إيـــه غيـــر المرارة ووجع القلب.

ضحك السائق بصوت أكثر ارتفاعًا ، وخبط كفًا بكف .

ـــ الجنة من غير ناس ما تنداس.

زهق الأب من حديثهما وقام واقفاً ، وهو يتجه نحو العربة

ـــ يا لله بينا الدنيا حر .

عادوا جميعاً للعربة ثانية ، وكل منهم بداخله هواجسه الخاصة به . والتكييف يبعث طراوة صناعية هادئة وعيناها مازالتا على الخارج ، تتابع مرور الصحراء من أمامها تذكرت وقفته طويلاً أمام المرآة وهو يستعرض جماله والأزرار والنجوم الذهبية على كتفيه .

كانت البنات فى المدرسة الثانوى يتحدثن سراً ويتهامسن بينهن :

يا بختها .. اتخطبت لضابط .

جتنا نيلة فى حظنا الهباب .

وتقترب إحداهن منها وهى تملس على شعرها بخفة ،

ــ ألا قوليلى يا ميرام ، هاتكملى تعليمك ؟

تهز ميرام رأسها غير واثقة : ماعرفش بابا هيعمل إيه ؟

تضحك البنت باستخفاف ، وتغمز للبنات بعينها :

ــ بابا ولاّ ماما ؟

مش العريس قريبكم .

تهز ميرام رأسها بطيبة : آه قريبنا من بعيد . ابن عمة ماما تصنع البنات دائرة حولها ، وهن يضحكن على طيبتها التى تصل حد السذاجة.

ــ آه من بعيد .

ــ بتحبيه يا ميرام ؟

ــ يا عنى إيه ؟

ــ شكله مش بطال .

تنظر أحداهن فى عينىّ ميرام التى شردت بعيــداً ، ثــم تشــير بيدها. ــ على فكرة يا ميرام جسمك ينفع مانيكان . موديل . أنا ابن عمى أستاذ فى الفنو ن الجميلة .إيه رأيك تيجى معايا تشوفى المرسم بتاعه .

ميرام المبهورة الآن بالصحراء والهدوء والعزلـــة ، وصــوت الراديو ، يبعث فيها حنيناً ما ، وتيــاراً مــن الشــعور الــدافئ الغامض لاتستطيع السيطرة عليه .

منذ عشرين عاماً، لم تكن تعرف ماذا تريد بالضبط ،لــم تكــن تشكلت ذائقتها ، وأراؤها ، كانت تعامل على أنها طفلة جميلــة لاتعرف مصلحتها .

الآن أدركت تماماً مدى القسوة التى كانت تعامل بها فى تهميش مشاعرها ، فهى تدرك جيداً ، ماذا تريد ؟ وماذا تفعل ؟ تزيــد الأولاد مهما كلفها ذلك التنازل عن المــال والســلطة والقيمــة النفسية أو الجسدية المحققة لديها.

فى ليلة كانت عائدة من حفل عيد زواج إحــدى قريباتها ورأت. رأت كمــا يرى النائم وجهاً بشعاً لرجل لم تعرفه والكرباج فى يده، يضرب الجناينى بقوة وعنف.

لم تعهدهما فيه من قبل.داخل الرقة والطاعة المصــطنعة التـــى يظهرها دائماً.

أمسكت الكرباج من يده ، وصرخت فيه: كدا حرام دا مهما كان بنى آدم.

ضحك ، ضحكة استفزتها: دول حمير ياروحى والكرباج دواهم ادخلى أنتِ جوه فلاح جنس ملاعين .

ثم واصل ضربه للرجل.

منذ هذه اللحظة ، كشف عن وجه آخر لاتعرفه .

وجه مغلف بالضحك والابتسام ، مثل الشمع بارد لاحرارة فيه ، وكشفت مدى كرهها له ، وأنها كانت لم تعرفه جيداً.

* * *

كان يتحرك بين الألوان (الأحمر والأزرق والأصفر) وهـــى جالسة فى متاهة بين البنى الغامق والأصـــفر الفـــاتح ، تـــركن رأسها إلى ركن الكرسى الأرابيسك الضخم فى أقصى مكان فى الحجرة ، ناظرة بلا انقطاع إلى الألوان والصور واللوحات ترنو بعينيها الجاحظتين إليه وهو يسعى فى حركاته الدائمة فى همـــة ونشاط يضرب بفرشاته المتتالية فى سرعة ورشاقة بلا انقطاع .
كانت تراه مثل الخزاف القديم الذى يقف أمام دولابـــه يصـــنع البشر ، ويدير العجلة فى همة وإتقان ، ويداه الجميلتان تتحركان فى خفة وبطء.
استدار إليها بعينيه البراقتين وقال لها : كل إنسان يدير عجلـــة حياته بطريقته حسب ظروفه ، ثقافته ، احتياجاته فضـــحكت ، ضحكة عالية ، ولكنها دارتها بسرعة بأن أهدته قبلة فى الهواء ، وهى تشعل سيجارتها ، وأخذت تمص فيها بقوة وعنف واستمتاع وتلذذ ، ثم استرخت على الكرســـى وقالـــت: ولكـــن الآخـــرين يساهمون بنصيب كبير فى إدارة حياتى.
أدار وجهة ناحية اللوحة ، وأخذ يرسم بعض الخطوط والظـــلال موضحاً سحابات الدخان المنطلقة من بين شفتيها ، وهو من آن لآخر ينظر لعينيها المشتعلتين بالضعف والهزيمة .

فيعجب من صدق مشاعرها الطافية فى هذه اللحظة ، والتى كل يوم تزداد قوة وانغراساً فى أعماقة.

أخذت منه البايب الذى يفضله ، وظلت تشفط ، وتنفخ ، وتمـلأ رئتيها بالدخان ، ثم سعلت كثيراً ، واسترخت على الكرسـى ، وأدارت جهاز حكيها بهدوء وبساطة ناعمة وهى تسترسل فـى الكلام ، كأنها تحدث نفسها.

" هناك إحساس ما هارب ، لا أعرفه ، وكلما حاولـت القـبض عليه لا أستطيع ، لأنه شيء غـامض ، ونـاقص ، وخفـى .. غامض غموض النفس ، وشفاف مثل شفافية الروح ، شـيء لا هو الحب ، ولا الطعام ، ولا الموت ، لكنه شيء سرى ، يسيطر علىّ ويمتلك روحى ، وكلما فتحت بابًا تجاهـه ازداد تعقيـداً ، وعمقاً ، شيء يشبه المتاهة ، يشبه الغربة يشبه الحريق ، يشبه الوحدة فى بلد لاتعرف لغة أهلهـا ، شـيء لانهـائى ، ودائـم ومستمر" .

ضحك دون أن يديرلها وجهه ، وضرب بفرشاته خطاً طـويلاً من الدم القانى فقسم اللوحة نصفين ، شطر وجههـا وشـعرها وعينيها ، ثم مسح بطرف إصبعه الدموع التى بدأت تنساب من عينيه وضحك : حنانيك إنانا .

أنت مش المسيح بابا .. ولازم تكفر عن أخطاء البشـــر. أنـــت إنسان جميل ، وقلب أجمل .

أخذت ميرام آخر نفس فى البايب ودفعته لصدرها بعمق وكتمت النفس لمدة طويلة ، ثم أخرجته بهدوء واسترخاء .

ـــ صدقتى بابا . بداخلى شئ يشبه (جر يجورى) فى المســـخ، أويشبه العجوز لحظة خروجه من البحر ومغامرته طوال الليـــل مع السمكة الضخمة . وهو لايملك سوى قارب صغير ويـــدين عجوزين ، ولكنه عاد بقوة المنتصر الجبار وادهيكل العظمـــى للسمكة يجرجره وراءه فى استرخاء عجيب . بـــداخلى شـــىء أقوى من الطيران أو الهبوط المفاجئ شـــىء إلهـــى مقـــدس ، لاأستطيع تقديره برقة ، لأنه ملتبس وغير واضح ، شىء يشـــبه العفو ، أوالسمو ـــ التسامى ، التسامح ، أو الهلاك ، شىء يشبه التراتيل داخل معبد كبير ، وضخم ، وكبير الكهنة يرتل بصوت عميق ورخيم فى حضرة رع أو آمون ، والجميـــع فـــى حالـــة خشوع وإنصات.

هذه المرة ضحك ضحكة طويلة وعالية ، ولكن مرارة الكلمـــات قد وصلته ، فألقى بفرشاته على الأرض ، وأخذ يحتويها بكـــل

جسده الدافئ العفى ، ويرنم لها تـرانيم جنائزيــة ، أو يهيئهـا للخروج إلى النهار .

وهى مازالت جالسة على الكرسى فى وضع يشبه الجنين . وهو يلتهمها بشفتيه ،وجميع أعضائه ترتعش.

ــ إنانا .. أنت جميلة ماما. عشان تحملى هذه الآلام.

خليط من الأدخنة والعذاب والضمير الداخلى، ينفجـر بـداخلها الآن ، وصرخت ، صرخة تشبه صرخة الطفل فى ظلام الليـل الطويل ، حيث كان يبحث عن أمه الغائبة من بين أحضانه إنها تبحث عن شيء ضائع ومفقود.

شيء يشبه فنجان الشاى صباحاً فى يد أبيها وهو يتأمل النيـل، والشمس ترمى بأشعتها الذهبية على صفحته، ويناديهـا :ميـرا تعالى شوفى الجمال .

إنها تشعر بشيء يشبه وخز الإبر فى ذراعها ، لحظة أخذ العينة للتحاليل والدموع تنزل من عينيهـا منهمـرة علـى خـديها ، والممرضة تسحب الدم فى هدوء وبطء ويـد الطبيبـة تربـت ظهرها وهى تبكى :

ــ إيه يا مدام .. إحنا هنخاف زى العيال الصغيرين.

أربع علب من السجائر ابتلعتها ميرام قبل الذهاب إلى التليفزيون والوقوف أمام الكاميرات ، لتصوير آخـــر مشـــهد فـــى الفـــيلم الطويل.

[تأخذ حجراً كبيراً تضعه داخل البلـــوزة ، وتلقـــى بنفســـها

فىالنيل، دقائق معدودة والماء يقول (طش)] .

ووجهها الشاحب ملىء بالمساحيق الجيدة .

والرواية نص طويل لاينتهى ،وكلما انتهت من عمل فتح عمـــل آخر.

وفى النهاية دائماً تكتشف أنها غير مكتملة ، هناك شىء نـــاقص فى الصورة ، فتنهى عملها بسرعة ، وتجرى إلى مرسمه تلقـــى من الباب بشنطتها وملابسها ، وتدخل عليه عارية بكل جسدها ، وإرادتها وتناديه : بابا إنت فيه ؟ يصرخ وهو يغنى : أنا هنـــا إنانا.

اكتشف لأول مرة أن خلف هذا العشب كوخ جميـــل وصـــغير مختبئ ودافئ ورطب ، بخلاف هذا البرد القارس والمتـــوحش بالخارج.

فأخذ يزيح بيديه الدافئتين الأعشـــاب والأوراق الذابلـــة والتـــى تضخمت وأصبحت من الغزارة كأنها غابة موحشة لـــم تتبـــين

للرائى المتعجل أو للحبيب اللحوح ، إن هذا الكنـــز المـــدفون ، اكتشفه وحده ، فأخذ ينهل وينهل على مهـــل وبصـــبر ودأب ، ويشرب من شهد الرضاب المتساقط من أعلى، فأصبح مثل ثور صغير انهال على ثدى أمه ، ودفس فمه بـــين حلمتيهـــا وأخـــذ يرضع حتى الشبع.

والبقرة تقف صامتة ، صابرة على صغيرها حتى يرتـــوى ثـــم يدفع رأسه ، وأخذ يملس بشفتيه وطرف لسانه وهو يرفع عينيه متأملا الجنة من حوله صارخاً : إنانا.

الــرواية

بداية اللعبة .

كنت فى المطبخ صباحاً ، أعد طبقاً من الفول بالليمون و الزيت، ولحظة ،هى لحظة ، أوربما تكون إغفاءة ، نظرت خلالها إلــى شعلة النار المنبعثة من عين البوتاجاز ورأيت ما كــان يجــب ألايراه أحد غيرى ، وسمعت ما كان يجب ألا يسمعه أحد ربمــا سمعته قديماً ، أوصدر من شخص أعرفه أو أكــون قــد قلتــه أوكتبته من قبل .

أوقالته امرأة ما غيرى فى زمن ما غير هذا الزمن المهم أنــى سمعت حواراً كاملاً بين امرأتين كنت أنا طرفاً فيــه ،ســمعت الأولى تقول لى : لا أنا أقول لهــا .. لا . لا لا أعــرف مــن تحدثت أولاً ! ولكن ما أعرفه جيداً هو أنه كان حــديثاً طــويلاً وشيقاً بن اثنتين من زمنين مختلفين . وأنا طرف فى اللعبة.

كنت لا أريد أن أكون شخصياً فى هذا المستوى من الخطــاب ، لم أكن أريد أن تكون لى علاقة به ، من شطب وحذف وقطــع كنت لحظتها شفافة وهادئة ومطيعة ومفتوحة بلانهاية وتاركة كل الخطابات السابقة عن وجودى ، وأحاول أن أبحث عن خطــاب غير سلطوى فى حديثى معها ، ولكنى وجدتها أمامى . امــرأة كاملة وعاقلة تمسك بيدى وتربت برفق وتقول لى : لاتخافى من أية سطوة وعنوت أو تلاشى فأنا بشكل ما وضع مؤقت ، لحظة

متواترة فى الوجود ، لاتوجد حقيقة مطلقة ولاهناك حكم نهـائى ولكن عليك ألا تخافى منى هكذا فأنا مثل الكلمة أستمد سـلطتى من سلطة الآخرين.

ثم قامت بتضميد يدى من الحرق الـذى أصـابها، لـن أنسـى صرختها الإنسانية وهى تقول : يا حبيبتى إيدك اتحرقت.

كانت تشبه تماما صورة ميرام التى صنعتها ، ومعبرة تماماً عن تشنجات وجهها التى تحدث عندما كنت أشعر بالألم تجاهها وهى تعطى الدواء لنفسها كى لاتتألم أمام الآخـرين ، الوجـه الـذى أمامى ليس وجهى ، ولكنه الوجه المتمنى ، الحلم ، اللاتحقـق . حاولت رسم صورة لها وهى تخرج مـن النـار ، وأسـميتها صاحبة اليد المحترقة، ولكننى بعد ذلك اكتشفت أنـى رسـمت صورة لنفسى صورة لمريم وأكثر تعقيداً ، وأكثر إنسانية لم أكن أعى جيداً أى وجه هذا الذى أمامى ؟ خطوط متشابكة ومتداخلة، وألوان كاتمة وحزينة.

والأخضر بدرجاته يلعب دوراً بارزاً .

عندما وقفت أمامها وهى ترشف من فنجان الشاى قالت بود : هذا وجه امرأة معطاءة ، ولكنها تعطى بحزن واسـمها ميـرام أوفطوم .

ولاحظت أن هناك لهبًا ما يتوارى خلف الألوان، ضعيفًا وقليلاً ويدًا محترقة تخرج من اللوحة . ضحكت بعفوية وقالت: الله دى إيدى ؟ عندما حاولت إنقاذكِ من النار حرقت يدى . خرجت من الحجرة ، وتركتها تتأمل اللوحات وأنا تسيطر على رأسى فكرة مجنونة . من أنقذ من ؟ أنا التى أنقذتها وحرقت يدى ، ومازالت بعض الأثار واضحة.

وهى تضحك وتقول إنها هى التى أنقذتنى ، رفعت رأسى من داخل الحبل المعلق ، وهى التى ألقت بالجثة من الشباك أو وضعت حجراً ثقيلاً داخل البلوزة وألقت بنفسها فى النيل.

والآن أفضى بكل ما يرد على خاطرى من أفكار أذكر كل شىء بغير أن أختار أو أنتقى ، حتى لو بدت لى بعض الأفكار غير مستحبة ، أولا قيمة لها ، أو لاعلاقة لها أصلاً بالموضوع .

وضع الطبيب نظارته أمامه وتفحص وجهى جيداً ، ثم أخذ يخط بعض الكلمات البسيطة على الورق وأنا أتابعه من خلف نظاراتى الطبية .لايحدث أننى أرغب فى شىء ، ولكنه الآخر هو الذى يرغب من خلالى . أشعر أننى نسخة بالكربون . أشبه صورة باهتة لآخر ، لا أعرفه ، ولكنه يوحى لى برغباته .. وهوالذى يتحكم فى أهوائى وأنا أعتقد أنى حرة فى اختياراتى ..

وللأسف اكتشفت أخيراً أنها حرية كاذبة ،أو على الأقل خادعة .

وضع الطبيب القلم من يده ، وأخذ يفرك كفيه كى يعيد الدفء إليهما ، بعد الساعات الطويلة التى قضاها معى وهو يسمع وأنا أتحدث . ثم مال بجزعه على وجهى وقال : مدام ميرام منذ متى وهذا الإحساس يطاردك ؟

ترددت قليلاً وأنا أشير له إلى اسمى فى البطاقة . ولكنه تجاهل إشارتى وحثنى على مواصله الحديث.

أشعر أنى أشبه (دون كيخوتى) وهو ينتحل شخصية (أماديس) البطل ويحاول أن يحارب العمالقة ، أو وهو راكب فرسه ويشهر أسلحته الصدئة فى وجوههم ولا يعترف بهزيمته أو جنونه .

وأحياناً تتلبسنى شخصية (أيما بوفارى) بكل رومانسيتها وأخطائها ، وطموحها وحبها الذى لاينتهى فى البحث عن عشيق تهفو نفسها إليه ، وتذهب له طواعية ، وهو يقدر هذه العلاقة ويحترمها . فتقع فى الغواية والإثم والخطيئة المرة تلو المرة ، ولكن ما ينقذنى من مثل هذه الأخطاء هو ضميرى . إن بداخلى جذوراً وأخلاقيات نتوارثها جيلاً بعد جيل ، الشعور بالعظمة

والفخار والعار الأبدى، أحياناً أتنازل عن رغباتى المحمومـــة ، مالم أجد من يفجرها بداخلى .

جلس الطبيب منهارًا ومتقطع الأنفاس ، فهو الآن أمـــام نـــص طويل ومتداخل لشخصيات غير حقيقية ، ومع ذلك هـــى حالـــة جيدة وجديرة بالدراسة.

ثم قال لى: مدام بوفارى .لماذا تشعرين دائماً بعظمـــة الخيانـــة ووطأة الحب ؟

تنهدت وأشرت له بيدى كى يقرأ اسمى جيدًا فى البطاقة ، لقـــد أخطأ كثيرًا ، ولكن واصلت اللعبة معه لأنى مسحوقة وتافهة فى مقابل رغبات الآخرين ، إذن أين وجودى الـــذى أتبـــاهى بـــه وأفتخر.

هز رأسه ، هزات متواترة ومتتالية كأنه يهز أشياء ثقيلـــة بهـــا ويريدها أن تسقط ،وقبـــل أن أنصـــرف مـــن أمامـــه وأتركـــه للشخصيات التى رميتها أمامه ، ناديته : أين الصدق يا سيدى ؟ أين الانتصار ؟

كانت مفاجأة غير متوقعة عندما مررت من فوق الكوبرى وكان هو يقف قلقًا حائرًا ، يريد أن يسأل أحدًا ما عن شيء يقلقـــه ، فكان يتراجع ، ويعود يقف مكانه وعندما لمحنى قادمة اقتـــرب منى فى أدب وسألنى : لوسمحتى فيه كنيسة قريبة من هنا ؟

اختلط علىَّ الأمر ، فأجبت بنعم ،وأخذت أصـــف لـــه المكـــان والشارع بالتفصيل فاندهش من مدى إلمامى بالجغرافيا والخرائط وطريقة وصف الطريق ، ثم شد على يدى بلكتا يديه :

ــ أشكرك يا مدام أصل أنا مش من هنا .

ومن الصبح بادور على شارع شبرا ، وكنيسة العدرا .

كان الطريق قديماً ، مترو الأنفاق ، أضاف إليه بعدًا خرافيــاً ، وقيمة إلى جوار قيمته التاريخية .

المكان عتيق خارج من بطن التاريخ والحكايات .

والجبرتى يصفه بدقة فى قاهرته الجديدة وقتها والتـــى امتـــدت كثيرًا، والأحراش التى كانت تحيط بتلك المناطق المجهولة والتى تكونت من سفينة غارقة.

ضحكت وقلت له : إن شارع شبرا ليس به كنيسة العدرا ولكـــن توجد به كنيسة سانت تريزا قريبة والعدرا فى مسطرد دعـــانى لأصطحبه فى رحلة إلى الكنائس التى أعرفها والتى تكون فـــى طريقنا ، فهو محمل برسائل عديدة ومهمة وعليه إيصالها وقال، إذا كنت سأشعر بالتعب ، اكتفى له بالوصف وهو يكمل مسيرته. وقفت أمام الباب ولم أدخل لا أحب أن أحرجـــه ربمـــا تكـــون الرسائل خاصة وسرية وقفت أتامل (أم النور) بهالتها النورانية وهى تحيط صغيرها بين ذراعيها وتحنو عليه حنو الأم المطمئنة

لأن الرب سينقذ صغيرها ويرفقه، تأملــت اللوحـــة جيــداً ثـــم انصرفت.

* * *

زجاجتان من البيرة أزاحتا الحزن والعطب عنى ، فبدت روحى فى رونقها القديم ، فانتعش صديقى وسألنى انتِ بتدخنى ؟ ضحكت متألقة : مع البيرة والقهوة بس.

انتشى هو أكثر وتنهد : يا بختك ، ثم سألنى متعجباً : مالك ؟ أظهرت فلسفتى العبيطة والتى تطفح فى رأسى كما هى وفى أوقات غير مناسبة (تشاؤم العقل تفاؤل الإرادة).

ثم مددت يدى إلى علبة السجائر وسحبت واحدة وأشعلتها بعنجهية الواثقة من أنها سوف تلقى بالدرر. حاولت الضغط على الولاعة بهدوء ، ثم بعصبية ، ثم بتوتر وانفعال شديد . أخذها من يدى وضغط بسهولة وأشعل لى السيجارة .

قلت له بهدوء : دعنى أتشبث بهذه الجملة مؤقتاً وأقول لك لو رأينا الدنيا (بلاك) ولا أمل فى أى غرث أو جهد أو نضال . سأكون حزينة جدًا وأنتحر من فورى ولكن هناك شعاع ما، شعاع بعيد يدفعنى ويأخذ بيدى وأتشبث به ، لابد أن يبعث من داخلنا التفاؤل، حتى لا نكون عرضه للانهيار ، وفى هذه اللحظة بيدى لابيد عمرو .

مد صديقى يده ، وملس بأطراف أصابعه على يدى ، وهو أكثر توترًا منى ، وأكثر انسحاقًا وضحك : خيركم فى الجاهلية ، خيركم فى الإسلامى .

. عادت الروح إلىّ ثانية ، بعد هذه الجملة وكأنى كنـــت أنتظـــر شخصاً ، يأتى من بعيد ويربكنى فضحكت : أى جاهلية ؟ وهو يحاول أن يضغط على الولاعة بهدوء كى يشعل البايب ، ولكنه ضغط بعصبية وتوتر أكثر من اللازم وألقى بها على المنضدة ، وهو يضحك بعصبية : مش راضية تولع . مددت يدى أخـــذت الولاعة وضغطت عليها بهدوء وتماسك وبسرعة خرجت نـــار وكادت تحرق أصابعى قربتها من وجهه ، وأشعلت له البايـــب، فضحك: نبقى خالصين.

شربت زجاجة البيرة عن آخرها دفعة واحدة ، ثم أخذت أشـــعل السجائر ، سيجارة من سيجارة وهو يحاول لم شـــتات الســـنين الغارقة بداخلنا والتى فرت من بين أيدينا وضحكنا ضـــحكة لـــم نتعود عليها من قبل ، ضحكة ليست من باب المجاملة ولكنها من القلب .

وسألنى : ما هى البدائل المنتظرة بديلاً عن الانتحار، أو الموت، أو الذهاب لطبيب نفسانى.

أخذت بهدوء ، أضغط على الولاعة بســـهولة وعمـــق ويســـر وأشعلت له سيجارة مثلى وأعطيتها له ، ثم أشـــعلت ســـيجارتى وضغطت على الكلمات.

ــ الكتابة . مارأيك فى جملة (لاتهيئ أفراحك) ؟

ــ شخص مريض فى زمن مريض .

ــ ما هو الحب ؟

ــ هو الرهان .

ــ ما الإشكاليات ؟

ــ انهيار الطبقة الوسطى ، وغياب الدور .

ــ غياب الدور.. إذن مادور الكتابة ؟

هكذا كان حوارى معه بعد غياب دام سنوات طويلة وقطيعة لم نعرف لماذا طالت كثيراً ، وكأننا لم نفترق لحظة واحدة ، ولم يعش كل منا بعيداً عن صاحبه ، فأصبح صاحب فلسفة ومزاج خاص به ومختلف . بدأ القلق يتسرب إليه فشعرت بحاجته إلى التغيير ، فطلبت منه أن نشرب زجاجة أخرى . رحب بالفكرة . ثم توتر أكثر وطلب منى الخروج إلى الشارع .

صباحاً وبعد خروجى إلى المدرسة .

كانت أمى تقوم بكنس البيت ورشه بالماء حتى يأتى الرزق وتقول جملتها (أكنس ورش ، ما تعرف مين اللى يخشى) ثم تذهب إلى السوق ، وتعد لى الطعام ، وعندما أعود من المدرسة تأكل معى ، ثم نجلس معاً على الطبلية نذاكر ، تفتح الشنطة ، وتخرج الكراسات.

ـــ ورينى خطك ، وحش ونازل من على السطر.
إقرى قدامى ، وحش وبتهتهى وتلقلقى فى النطق.
أمى الأمية ، كانت تدرك بفطرتها القيم الصحيحة وتنهرنى .
ـــ واخدة كحكة فى الحساب ليه ؟
تعالى احسبى معايا ، عندنا أربع برتقالات نقسمهم على اثنين كل واحد ياخد كام ؟
كانت الحياة بالنسبة لها سهلة وبسيطة.
وتصنع لى عقدًا من الفول والذرة كى أحسب عليه.
ضحك صديقى من أثر البيرة على رأسى . وقال وهو يمد يـــده يمسح دموعى المتساقطة : واضح إن البيرة عملت شغل جامد.
أبعدت يده الممتدة نحوى ، وطلبت منه أن أنصرف .
ـــ أنتَ فاكرنى سكرانة ؟ دا هذيان .
أمى كانت طول النهار ماعندهاش غير ده عيب ، ده حرام ، يا مريم قولى حاضر يامريم قولى نعم .
ـــ الله يرحمها .
زعقت فيه منفجرة بغيظ : الله يرحمنى أنا
كل حاجة قولى حاضر . كل حاجة قولى نعم ، اسمعى الكلام .
مد يدة ثانية وأعطانى منديلا ورقيـــًا وهـــو متـــأثر بضـــعفى وانفجارى.

ـــ الوضع اتغير أنا ماعرفش أقولك إيه ؟ لكن مـــاهى التربيـــة الصحيحة؟

ـــ ما عرفش لكن الحياة أصبحت أكثر تعقيداً .

أجلسنى على مقهى قريب ، وطلب كوبين من القهـــوة وضـــع النادل زجاجتين من المياه المعدنية ، وقام بتنظيـــف المائـــدة ، وطفاية السجائر ، وازداد المكان هدوءاً بعد الواحدة .ثم وضـــع شريطاً داخل المسجل ، فانبعث صوت أم كلثوم ناعماً ، خفيفاً ، تغلغل فى روحى ، وأخرجنى من حالة الغضب ، وأخذت أشدو.

وصديقى يضحك على تحولى السريع :

ـــ سبحان مغير الأحوال .

ثم أخذنا نشدو معًا :

(نظرة وكنت احسبها سلام وتمر قوام ..

أتارى فيها وعود وعهود وسدود وردود وآلام) .

حيـــوان برى لا يركبه أحد

لا أحد فى الغرفة المغلقة على جسدى ، أرقد بجواره عارية
يدى المرتعشة من التدخين والبيرة ، تصلبت
(أم النور) المعلقة على باب الكنيسة فى سانت تريزا تحتضن
رضيعها بقوة وحنان .
تملأ مخيلتى ...
شبرا والأصدقاء والمحرقة فى بنى سويف ، فقدت خمسة
أصدقاء دفعة واحدة.
أين الحياة البسيطة الهادئة ؟
أطفأت النور وأخذت أدندن داخلى " نظرة وكنت احسبها سلام..
وتمر قوام " .
لقد احترق خمسة أصدقاء دفعة واحدة ، ومات من مات .
لقد أصبحنا نتساقط مثل أوراق الشجر الجاف واحداً إثر الآخر.
جيل كامل يسقط .
والأيام تمر دون بهجة ، تقيأت البيرة ، والخيار والجبن، بكيت
كثيراً هذه الليلة ، على نفسى ، على أصدقائى على الأيام الحلوة
التى كانت بيننا ، وأخذت أتخيل بجنون مدى بشاعة النار والألم
وهم يحترقون ويصرخون، لامغيث. من بكى ؟ من صمد ؟ من
ترقب يدًا حانية تنقذه ؟ من ابتهل إلى الله أن ينقذه ؟ من كفر
بالعمل والحب والواجب والتضحية ؟ من مات صامتًا ؟ من مات

فى شجاعة ونبل؟ لا أحد يسمع صوتهم، آهــين يــا أصــحابى الضعفاء .

قمت وضعت جسدى تحت الماء كى أطفئه ، ثم نمت ، عارية

أهذى ،

الحب ،

الضحك ،

الكلام ،

الموت ،

يا مريم قولى نعم ، يا مريم قولى حاضر .

النار ازدادت اشتعالاً ولهيباً وجسدى يحترق رعباً وكمداً وحزناً.

هذه الليله .. مثل ليال عديدة ، تمر ببطء وهذيان ، وقىء وألــم أسفل المعدة .

وتنتهى بإشعال علبة سجائر وعلبة مهدئات ومحاولة للانتحــار فاشلة.هناك من يأتى فى الوقت المناسب وينقذنى .

على مدار السنوات السابقة ، تعرضت لحالات أبشع من هــذه.

وعندما يسألنى الشاب المرتبك عن شارع شبرا وكنيسة العدرا.

سارجوارى يردد ترنيمًا جميلاً: (كيراليسون .. كيراليســون)

أضحك لأن الأمر التبس عليه حينما ســألنى: إنــت أرثوذكيــة

هززت رأسى نفياً . قال : إذن أنتِ إنجيلية ؟

صمت. ولأنه كان خجولاً أكثر من العادة ، وطيباً مثل ســنوات مضت، صار يردد ترنيمة كيراليسون .. كيراليسون، كان صوته جميلاً وشجياً وزائداً فى الحزن.

وعندما سألته : لماذا تبتهل إلى الله وتقول يارب ارحم ؟

نظر إلىّ نظرة طيبة وقال: "حلمت باليسوع يدعونى إلى الجهاد، وإيصال رسالة إلى البشر أن ينتبهوا ...

ويدعونا بالرحمة" ثم صار يــردد كيراليســون . كيراليســون ضحكت وأخذت أصف لــه الأمــاكن والتــواريخ والجغرافيــا والحواديت.

وضحكت أكثر عندما تذكرت صديقى الذى ظل ينتظرنـــى فـــى مكان ما لا أعرفه، ويديه ترتعشان وهو يشعل لى ســيجارتى ، ويتنهد : وحشتينى.

* * *

المثال العجوز ..

وقفت أمامه بالساعات والأيام عارية كى ينحت جــزءًا جــزءًا، وأصابعه كانت تتغلغل داخلها وتشــكل جســدها علــى هــواه ورغباته .

والموسيقى الحالم ..

الذى كان يعزف لها بأنامله على الكمان وهو منهمك فــى أداء تمرين صعب بالنبر على الكمان لأعمال موتسرت الشهيرة كى يبهرها ، ويسيطر عليها وهى جالسة أمامه فى صمت ، تســمع وكأنها تصلى فى محراب إبداعه بالساعات والساعات ثم تقــوم واقفة ممشوقة القوام ، تتراقص أمام عينيه مثــل الســاحرات ، أومثل راقصات المعبد ، أو الراقصات المحترفات .فتهتز أوتاره وتهتز مشاعره ، ويضطرب ، ثم يعزف أجمل الألحان ويظــل يرتجل ويرتجل ، إلى ما لانهاية .

والطبيب ..

الذى تجلس أمامه بالساعات فى استرخاء مضن ، وتعترف لــه بهفواتها وغزواتها وشطحاتها ، وهو يسجل ما تتفوه به بكل دقة وعناية ثم يجلس أمام الأوراق يحلل ويحلل تركيباتها المعقدة. طبقات عديدة من اللاوعى متراكمة وكثيفة ، تتراكم فوق بعضها مكونة شخصية هشة وبائسة وحزينة ، تخــاف أن تنظــر فــى

المرآة كى لاترى وجه الأخرى المتعددة والمتجاورة فى روحها، والتى تظهر فجأة عندما تكون بمفردها فتهرب ميــرام بوضـــع المساحيق الكثيفة لعلها تنجو من هذه العفاريت .

أحيانا كثيرة وأنا عائدة فى الليل بالمترو فـــى عربـــة الحـــريم الخالية، وهو يهتز بـــى ، أرى يـــدكَ البيضـــاء تمتـــد بالقفـــاز وبالمشرط تخرج قلبى، أعصابى ، وتأخذ فى تشريح جســـدى ، وتلقى من النافذة دقائق أفكارى ومشاعرى، ثم بعد ذلك تتركنـــى باردة عـــارية وحيدة مفتوحة العينـــين بلهـــاء علـــى الكرســـى الأرابيسك الكبير وسط المرسم، والبرد يتمـــدد إلـــى أطرافـــى المرتعشة من أثر الجراحة، أنزل بسرعة وأهـــرب ، أهـــرب ، أجرى ، أدخل البيت أصنع كوبًا دافئًا من اللبن ، وأضع شـــريط عبد الباسط عبد الصمد فى المسجل وأجلس في استرخاء شديد ، أسمع(سورة مريم) وأظل أيامًا ، داخل البيت لا أبرحه إلا فى ميعاد الجلسات ، آتى إليك دون إرادة مدفوعـــة بقـــوة العـــادة والرغبة فى أن أراك وأتحدث معك. حتى الأدوار التى كنت أتقن أداءها لم تعد تعنينى الآن، وخلعت سلك التليفون حتى لا أعـــود إليها ثانية.

ثم آتى ببرونة طفل صغير أضع اللبن داخلها وآخذها فى حضنى أجلس منكمشة على السرير مثل الطفل الرضيع ، أضع الببرونة

فى فمى ، وأرضع فى هدوء فينساب اللبن من ثدى الأم طازجًا، دافئاً يغذينى وتهبط على رأسى الذكريات مثل طائر الرخ الكبير، تحيطنى أمى بذراعيها الطيبين فأنام مستسلمة لحضنها الدافئ الحنون، متكورة على نفسى فى وضع مهين وأشعر بسخونة اللبن تنساب فى أطرافى الباردة رويداً ، رويداً ، أو شيء دافئ يتساقط على فترات متباعدة من داخلى فأنام . أنام فى هدوء وسلام.

تختطفنى ملائكة صغيرة على أنغام موسيقى موتسرت، والعازف يعزف على كمانه ، فتمحى من جسدى أصابع المثال وأمزق من داخلى أوراقك المسجلة عليها حالتى واعترافاتى ، وأطير هائمة فى دنيا الموسيقى ، مغسولة من الأوجاع ، والأفكار والإحباطات، وأصحو على صوت الشيخ عبدالباسط الناغم الرخيم وهو يختم آياته .

* * *

لماذا يلتقطنى دائماً العجوز بملقاط خفى ثم يعيدنى إلى حظيرته بعد أن أكون تركته لشهور طويلة ؟

ويعيد بأنامله البارعة جسدى إلى طبيعته ، بعد أن نمت بعض التجعيدات الرفيعة حول العينين والفم وتكلست الأطراف، كان يعيد كل شيء إلى صورته الأولى ، إلى ما كان عليه سابقاً جسداً لدناً طرياً طيباً مثل جسد الأطفال ، أو البنات الصغيرات قبل سن المراهقة وأرانى طفلة سعيدة ، غيورًا من شكلى الجديد. هو من تجعيداتى وصمتى يصنع تماثيله، وأنا أعود مثلما بدأت. أنامله الخبيرة المدربة ، التقطتنى بمهارة من ركام اليأس. فأعود، وأتشبث به لفترات طويلة .

كان عازف الكمان عندما يعزف على آلته وأنامله تحرك القوس على الأوتار فى وداعة العاشق وشجن لانهائى. أرى ضعفه يشبه ضعفى.

ترى هل المرأة التى تكبره بضعف أعوام عمره هى نفسها التى ترى العجوز فوق ما يجب ، فتعود وتنكمش أمام سطوة اللحن ، سطوة الشباب ، سطوة الأداء الرائع ؟

كانت ميرام تنجو من الرمضاء بالنار.

ولاتحب من يناديها ميرام فهى تحب أن يخفف دائماً

(ميرا — ميرى — مرمر — مريم) وأحياناً يناديها المقربون : مرهم، والحاقدون ، مر ، فتبتسم ولاتعلق .

وكانت كل مرة تذهب فيها إلى طبيبها واختارته من بعيد.. بعيد؛ كى لايكون بينهما أية عشرة أو عشم ويصبح أمينًا معها، وتفك شفـرات هواجسها ، ونصها، فى حضرته دون حرج.

كانت ترتدى تاييراً جديداً فخماً دائماً.

وهى مغرمة بالتاييرات الشيك ، والأخضر بدرجاته كى تشـبه حديقة غناء متنقلة، أو تصبح مثل كرنبة فى آخر تعليـق علـى نفسها فى المرآة .

وكان هذا يرهقها مادياً بشكل لافت.

فعادت للأضواء والظهور ، وقامت بفك وديعة.

كانت تحتفظ بها للأولاد وقالت : طـظ يـذهبون للجحـيم هـم وأبوهم. وقامت بتفصيل مئات من الأقمشة الحريرية التى كانت تمثل لها قيمة كبيرة من الهدايا.

وذات يوم ضحك معها العجوز وقال لها :لماذا تصرين على لون واحد دائماً ؟

فضحكت : كى تظل المرأة الخضراء خضراء .

دون الطبيب هذه الكلمات ووضع تحت كلمة خضراء ، كى

لاتذبل فعرف أنها تكره الشيخوخة وتخاف منها مرام أو ميرام كما أسماها أبوها وسرب لها حسًا شفويًا أنها تنتمـــى للناصـــر قلاوون. يومها ضحكت وهو يعد لها شجرة العائلة ،بابا كيـــف أصدق هذا الكلام ؟ أب مخبول بعظمة وهمية ، وأجداد وهميين وأم تحيك لها فستاناً من الدانتيلا وتكتب عليه بخيوط من الذهب والفضة أسماء شجرة العائلة.

وكل يوم بإصابع عجوز مرهقة تضيف اسماً ذهبيـــاً تتـــذكره ، بخيوط رفيعه جداً.

الإنسان السائب

السائب سعيد جدًا بهذه النعمة ، نعمة أنه طُرد مرة وإلى الأبـــد من الفردوس . (كى ديبور) .

يا عزيزتى/ تصفية الحسابات قد ولى زمنها !
حيث لايوجد حبل سرى يربطنى بشىء ما ، أو ظـــاهرة مـــا .
قررت أن أكسر كل المحاذير ، وأمقت كل الصور المعلقة فـــى حجرتى ، وأقوم بتحطيمها مثلما يفعل الطفــل بهــداياه ولعبـــه.
الصور التى لازمتنى طويلاً ، واخترتها بعناية فائقة كنت أقــف أمامها كل يوم صامتة ، أصلى كأنى فى محراب مقدس وكنــت أضيف إليها ما أشتهى من ملصقات . اليوم أمقتها جميعاً ، وأقوم بالتحرر منها دفعة واحدة ، لقد مزقتها ، مزقت كل ما هو مقدس ومثالى ودمث ، ودام بداخلى سنوات، بدءًا بالأيقونات ، وانتهاء برسومات الأطفال التى كنــت أجمعهـــا كــل يــوم، وتـــزداد انغراســـاً فى مخيلتى ولحمى إنه الاختطاف الأبيض من وسط الجمل الصافية والجاهزة دوماً للترديد . الطفل يولد وحريته فى جيبه ، وعندما يتعلم الزحف يتركها بجوار أول مبولة ، وهــو دائماً لديه شعور حالة قرف رائعة.

الفضيحة تبدأ حين تأتى الشرطة لإيقافها . هكذا هاتفت لنفســى وأنا أربط الحبل هذه المرة قوياً ، لأصنع منه مشنقه أعلق فيهـــا رأسى . ضحكت عندما تـــذكرت هـــذه الجملـــة (الســـوريالية) وضحكت أكثر عندما أدرت المفتاح فى باب الحجـــرة وفتحتـــه

رأيت أمامى .. امرأة عارية تماماً تضع كمّا هائلاً من المساحيق الجيدة ، وتبكى أمام المرآة بحرقة .

والصور ممزقة وملقاة على الأرض أمامها ..

وعندما انتبهت لوجودى ضحكت بهستيرية امرأة محششة وقالت هازئة : إيه أنا جيت لقيتها كدا !

هربت من عينيها ، وحاولت إضاءة النور منعتنى بعنف صارخة: إبعدى عنى أرجوكى إنزلى دلوقتى. حاولت منعها من البكاء ومسح دموعها. نهرتنى غاضبة قلت لك سيبينى لوحدى . تركتها ودخلت حجرة أخرى ، حاولت النوم ، حاولت الوقوف فى الشرفة ، حاولت التدخين ، سيجارة من سيجارة ،صنعت كوباً كبيراً من القهوة ، وجلست أستمع إلى الموسيقى، ولكن لم أستطع ، فقد كان صراخها يزعجنى.

وصوت نحيبها الذى لم ينقطع طوال الليل يهز مشاعر الاشمئزاز داخلى . قمت من فورى علقت رأسها فى الحبل ، وسحبت الكرسى من تحت قدميها . لم أتعاطف معها بل بالعكس، أخذت أضحك ، أضحك ، وأكيل لها حقدى ، وأرميها بكل ملابسى التى أقوم بخلعها من على جسدى أمام عينيها

وعندما تأكدت من أن الجسم قد همد وأن الروح قد استقرت ، جريت ناحية الشرفة وألقيت بها بقوة ،فدوت صرخة مزعجة. ثم أخرجت ورقة وقلمًا وأخذت أرسم لوحة السقوط ثم نمت هانئة، رغم الضوء المزعج الذى بدأ يطل من النافذة انزلقت داخل الفراش بهدوء وبطء وأنا أنصت إلى الموسيقى التى تنبعث من داخلى ، موتسارت ، بيتهوفن، سيد درويش ، الشيخ عبدالباسط عبدالصمد.

ثلاثة أيام وأنا هكذا .

نائمة أهذى بكلمات أحاول فكها.

ولكنها تخرج غير متناسقة ، والحجرة تظلم وتضىء وأنا أصرخ بصوت مكتوم : الفرنجة ، الفرنجة ، وبعد أن هدأت ثورتى بثلاثة أيام ،خرجت إلى الشارع ، اشتريت الجرائد ، وجدت فى الصفحة الأولى ، صورة لفتاة جميلة ، وقصيدة إلى جوارها ولوحة السقوط أسفل الصورة.

ضحكت وأغلقت الجريدة ، وضعتها أسفل إبطى ، وقررت أن أشعل سيجارة وأدخن فى الشارع .

امرأة متوحشة تسكن روحى كأنها آتية من دغل إفريقى، أو عالم بدائى . امرأة مسكينة كانت، كيف سمحت بكل هذه المسافة بيننا ودخلت بيتى ؟

كان صباحاً بارداً عندما اكتشفت وجودها ، وكان اسمها فطوم ، وكانت تقول لى يا أبلة ميرام ، وأحياناً تناديني: يا ابنة خالتى . تعجبت كثيراً ، وقمت بإهدائها للبروفسير.

قمعت كل رغبة فى التمرد ، وسرت بمحاذاة الرصيف .

كيف لم أرها من قبل، تلك المرأة الساكنة طوال السنين معى؟

كانت الجثة مشوهة لدرجة أن البواب والجيران ورجال الأمـــن، لم يتعرفوا عليها ، ولم يقترب أحد منها، كانت الرائحـــة عفنـــة ومليئة بالذباب والدود.

رفع البواب رأسه نحوى ، فرآنى واقفة قال متوسلاً :

والنبى احدفى لنا ملاية من عندك يا ست .

أسرعت وألقيت له بحزمة الجرائد التى تحت إبطـــى، وأغلقــت النافذة. (كنت أريد أن أغطيها بالكلمات التى ذابت داخلى كنت أريد أن أخلق لى وحدى كائنـــات حيـــة حتـــى مـــع تواطـــؤ العواصف).

لماذا هذه الكلمات تحديدًا، قصصتها من الأوراق التى وجـــدتها أسفل الوسادة ، وداخل الأدراج ، وجدت الكثير والكثير، قصائد، قصائد ..

أندريه بريتون ،

جورج حنين ،

أنسى الحاج ،

ساركون بولس ،

وكثيرون، كثيرون ، كأنها كانت تنمو بالقصائد وجميعـاً مـن السورياليين، كانت تمزقهم من الكتب ، "وتقف علـى خرائـب هضمهم (وسط بوم ساجية يطاردها الإنحطاط من كل مكان، لم يتبق للعين سوى شواظ التطلع إلى شاطئ مهجور، دائـرة مـن محجر التخلى والتنحى بعيدًا عن هذا وذاك) " أندريه بريتون .

وجدت هذه الجملة تحديدًا معلقة فى الحمام فوق المرآة تماماً. من علقها ؟

بالأمس لم تكن هنا. كان كل شيء نظيفاً وهادئاً .

بعد أن غسلت جسد أمى جيداً ، وأفرغت زجاجة عطر كاملـة على جسدها ، ثم رششت الأرض بالديتول .

كل يوم يتمدد جسدها أمامى ورغبة طاحنـة فـى أن أقطعهـا، وعندما أسمع نحيبها يعلو مثل الصحراء الخالية ، أتخاذل وأتمدد إلى جوارها عارية ، ونصبح جثة جوار جثة أبكـى أصـرخ : الفراغ ، الفراغ .

الفراغ يحيطنى من كل جانب . إنه الجنون !

أريد تحطيم الحوائط ، أريد القفز من أعلى ، علِّى أنجــو مــن الهذيان .

وجهى أصبح يشبه الخريطة ، معرقاً بالخطوط والتعريجــات .

لقد لعبت عليه عوامل الحزن والألم أدوارًا كثيرة .

***

يناير ٢٠٠٧

" الكاتبة فى سطور "

صفاء عبد المنعم محمود حسن زايد
مواليد القاهرة – أصل العائلة / المنوفية .
الدراسات / ليسانس تربية – عين شمس
دبلوم تذوق فنى – أكاديمية الفنون.
الآن :
تحضر دراسات عليا
دبلومة ضمان وجود التعليم
كلية التربية – عين شمس .
كُرمت فى مؤتمر أدباء مصـــر بالأقصر عام ٢٠٠٤ .
عضو أتيليه القاهرة .
عضو اتحاد كتاب مصر .
معتمدة بالاذاعة المصرية .
محاضر مركزى بالهيئة العامة لقصور الثقافة .
قامـــت بعمـــل جـــائزة باســـم الشـــاعر الراحـــل (مجـــدى الجابرى) .
ساهمت فى مشروع كتيبة طيبة مع د.سمية رمضان ،
وجماعة الضمير الثقافى – مؤتمر العريش الأول ،
ومشروع وصف مصر الآن ــ الواحات البحرية .
موسوعة الأغانى الشعبية للأطفال .
روايـــة مـــن "حـــلاوة الـــروح" : كانـــت ضـــمن رســـالة دكتـــوراة فـــى إيطاليـــا للباحـــث (فرانشيســـكو)، الرســـالة بعنوان " الرواية العامية فى مصر" .
مجموعـــة " بنـــات فـــى بنـــات " : كانـــت ضـــمن رســـالة دكتوراه فى كلية دار العلوم
جامعة القاهرة ، للباحثة زينب العسال .

" الأعمـــال الكاملـــة " : كانـــت ضـــمن رســـالة ماجيستير فى أكاديميــة الفنــون قســم نقــد فنـــى – للباحثــة (رحاب الدين الهوارى) .

E-mail : safaa_abdelmenem@yahoo.com

* * * * *

" الإصـــدارت "

ــ حكايات الليل	(قصص)	١٩٨٤	طبعة خاصة
ــ تلك القاهرة	(قصص)	١٩٩٠	طبعة خاصة
ــ أشياء صغيرة وأليفة	(قصص)	١٩٩٦	أصوات أدبية
ــ بنات فى بنات	(قصص)	٢٠٠١	كتابات جديدة
ــ من حلاوة الروح	(رواية بالعامية)	٢٠٠٢	رؤى
ــ ريح السموم	(رواية)	٢٠٠٣	مكتبة الأسرة
ــ أغانى وألعاب للأطفال		٢٠٠٤	سلسلة دراسات شعبية
ــ من حلاوة الروح	(طبعة ثانية)	٢٠٠٥	دار سنابل
ــ سفينة الحلوى	(قصص للأطفال)	٢٠٠٦	كتاب قطر الندى

" تحت الطبـــع "

ــ فى الليل لما خلى	(رواية)
ــ بشكل أو بآخر	(قصص)
ــ سيدة المكان	(قصص)
ــ فى المرة القادمة	(قصص)
ــ المجروحة بالصمت	(قصص)
ــ دايه وماشطه	(دراسة)
ــ صورة المرأة فى المثل الشعبى	(دراسة)